جامعة عبد الرحمان ميرة . بجاية
كلية الأدب واللغـات
قسم اللغة العربية وآدابهـا

الشعر الشعبي الجزائـري
ماستر 1 تخصص: أدب جزائري
الأستاذ: : سالم بن لباد

## المحاضرة الثالثة

## تاريخ ظهورالشعر الشعبي الجزائري

## النشأة والتطور

توطئـة: يكـاد يجمـع أغلـب الدارسـين إلى أن الشـعر الشـعبي الـذي وصـل إلينـا يعـود في أصـوله إلى الموشـحات الأندلسـية(الشعرالحضـري) والقصـائد الهلاليـة(الشـعرالبدوي)، يقـول رابـح بونـار:«إن الشـعر الشـعبي الـذي تحـدر إلينـا مـن شـعرائنا الماضـين ينقسـم إلى نـوعين: الشـعر البـدوي وهـو نـوع مـن الشـعر الهـلالي، لـه خصائصـه وسماتـه، والشـعر الحضـري، وهـو نـوع مـن الموشـحات والأزجـال، ولـه كـذلك خصائصـه ومميزاتـه» [1]وهـذا مـا يؤكـده أحمـد طـاهر، حيـث ميـز بـين نـوعين مـن الشـعر، همـا: «الشـعر المقطعـي Strophique، وهـو شـديد الصـلة بالموشـحات والأزجـال الأندلسـية. والشـعر القـائم علـى التنـاظر المقطعـي isométrique، وهـو قريـب جـدا مـن شـكل القصـيدة العربيـة العموديـة في الشـعر العـربي التقليـدي»[2]. وانطلاقـا مـن الـرأيين نسـتخلص أن الشـعر الشـعبي الجزائـري يعـود ظهـوره إلى التـأثير المشـرقي، مـن خـلال نـزوح قبيلـة بـني هـلال وسـليم مـن المشـرق إلى المغـرب العـربي، ثم التأثير الأندلسي، وهما من أكثر العوامل المؤثرة في ظهور الشعر الشعبي الجزائري.

لكـن وقبـل الحـديث عـن هـذه المسـألة يسـتوقفنا التسـاؤل عـن وجـود الشـعر الشـعبي قبـل المرحلـة الهلاليـة وقبـل الفـتح الإسـلامي، ونقصـد -طبعـا- الشـعر الأمـازيغي، ألم يسـبق هـذا الشـعر في الظهور تاريخيا الشعر البدوي(الهلالي)، والشعر الحضري (الأندلسي)؟.

### -أ-الشعر قبل الفتح الإسلامي:

انقسـمت الآراء حـول وجـود الشـعر الشـعبي الجزائـري والقبـائلي علـى وجـه الخصـوص قبـل الفتح الإسلامي والهجرة الهلالية إلى ثلاثة أصناف:

1-يـرى أصـحاب الـرأي الأول أن القصـيدة الشـعرية الشـعبية وجـدت قبـل الفـتح الإسـلامي، معتـبرين أصـولها منحـدرة مـن الشـعر الأوروبي والبربـري القـديم. ومـن بـين هـؤلاء البـاحثين نجـد

---

1- نقلا:عبد الحق زريوح، دراسات في الشعر الملحون الجزائري، مع قصائد مختارة غير منشورة، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص19 .

[2]-عبد الحميد بورايو،الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م،ص51.

جوزيف ديسبارمي، الذي يرى بأن:«الشعر المغربي بصفة عامة والشعر الجزائري على وجه الخصوص إنما يستمد أصوله البعيدة من أشعار بربرية، وقبل احتلال الرومان الجزائر»[3]، وهو الرأي الذي يسانده كذلك ألبيرت قيمي الذي قال:«إن الشعر كان موجودا دائما في الجزائر»[4]. ولكن ما قد يعاب على رأي هؤلاء هو أنهم انطلقوا من فرضيات مجردة، لم يثبتوها بالنصوص الشعرية الكافية، « لأنهم أعطونا نصوصا بلهجة بربرية فعلا، ولكن مضمون هذه النصوص كان إسلامي»[5]، ما يعني أنها ظهرت بعد الفتح الإسلامي وليس بعده.ويرجع بعض الباحثين أول ظهور للشعر العامي في الجزائر إلى عصور قديمة، إلى أن تصل إلى العصر الجاهلي ممثلة في تلك«الأراجيز المنظومة بلهجات غير فصيحة في العصر الجاهلي»[6].لكن هذا النوع لاينطبق على الشعر الشعبي المعروف في الجزائر لأن هذه اللهجة تعتبر عند أهلها فصيحة لكن اللهجة العامية الموجودة في الجزائر هي لهجة غير معربة أي مخالفة لقواعد اللغة.

2- يرى الفريق الثاني وعلى رأسهم عبد الله ركيبي أن الشعر الشعبي كان موجودا «مع الفتح الإسلامي ثم انتشر بصورة قوية واضحة بعد مجيء الهلاليين»[7]. ولكنه اندثر بعد الفتح الإسلامي، لأنه يتنافى مع المعتقد الجديد، الذي يحمل ثقافة جديدة، والمجتمع الجديد الذي ينشده الإسلام.

3- أما أصحاب الرأي الثالث فهم يذهبون إلى أن الشعر الشعبي ظهر في الجزائر مع الزحفة الهلالية على الجزائر، وتعريبهم للمنطقة المغاربية.

**-ب-أثر الهجرة الهلالية في نشأة الشعر الشعبي:**

يذهب المرزوقي إلى أن الشعر الشعبي قد ظهر في الأقطار المغاربية مباشرة بعد استقرار بني هلال وسليم في شمال إفريقيا، يقول:« لم يترك لنا التاريخ أي أثر لشعر منظوم باللغة الدارجة(الشعر الشعبي)

---

3-نقلا: العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس،الجزء 1، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989م، ص ص:32-33.

4- نقلا: المرجع نفسه،ص33.

5- محمد دبوز،تاريخ الأدب الكبير، مطبعة عيسى البابلي وشركائه،ط1، 1964، ص ص:49-61.

6- محمد المرزوقي،الشعر الشعبي، الدار التونسية للنشر،تونس،1967م،ص52.

7- عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي)، الجزء1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009،366.

قبل منتصف القرن الخامس الهجري، أي قبل الزحفة الهلالية سنة 443 هجرية(...) ودخول الهلاليين إلى المغرب العربي كان له أثر كبير في الحياة الثقافية والفكرية في المغرب العربي»[8].وهذا مايؤكده التلي بن الشيخ في قوله:«والراجح أن العامل الذي كان له الأثر الكبير في ظهور الشعر الشعبي هو هجرة القبائل الهلالية في منتصف القرن 5هـ، بحيث يمكن القول بأن دور الهلالين –بالإضافة إلى أنهم قاموا بدور كبير في تعريب الجزائر– فقد أسهموا في بلورة الشعر الشعبي»[9]. ويضيف التلي بن الشيخ في ذلك بقوله «أن قبائل بني هلال كانت خليطا من القبائل العربية ذات لهجات مختلفة، ما ساعد السكان على تقليد هذه اللهجات وإتقانها باعتبارها لهجات لا تتطلب معرفة الكتابة مثل اللغة العربية»[10].ونظم الأشعار على منوالها،كما شجع الجو الديني السائد في القبائل الهلالية وفتور الحماس الديني إلى استرجاع الماضي ونظم الشعر الشعبي من جديد، ويستشهد المرزوقي فيما قاله بوجود أول نص وصل إلينا من الشعر الشعبي والذي المطلعه:

غربوك لجمال يا حفصة  من بلد بعيد

من سجلماسة وقفصة*  وبلاد الجريد[11]

ويعقب التلي بن الشيخ على هذا قائلا: «إن المرزوقي يحدد ظهور الشعر الشعبي إلى منتصف القرن 05هـ، ولم يورد نصوصا من الشعر تدعم تحديد هذا التاريخ فقد اكتفى بمطلع واحد يرجع إلى العهد الحفصي، أي بعد قرنين من تاريخ دخول بني هلال وسليم إلى المغرب العربي»[12]، ولهذا يمكن القول بأن تطور الظروف الاجتماعية والسياسية وما أدخله الهلاليون من لهجات غير معربة كان من بين العوامل المساعدة على عودة وانبعاث الشعر الشعبي، مثلما كان عليه قبل الفتح الإسلامي، بمعنى أن الشعر الشعبي كان موجودا ثم اندثر بعد الفتح الإسلامي، ليبعث من جديد مع الهجرة الهلالية.

## –ج– التأثير الأندلسي في الشعر الشعبي:

[8]–محمد المرزوقي ، المرجع السابق،ص57.

9–التلي الشيخ ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830م–1945م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص392.

10–التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1990،ص25.

*–أسماء لقرى في جنوب التونسي، ويوجد بها النخيل ، زيبدوا أن حفصة هو اسم لنوع من التمور.

[11]–التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، ص26.

[12]– التلي بن الشيخ، المرجع نفسه، ص26.

يذهب المرزوقي في اعتقاده إلى أنه كان للهجرة الأندلسية أثر بالغ في انبعاث الحركة الشعرية الشعبية في الأقطار المغاربية عموما وفي الجزائر خصوصا، رغم افتقاده للأدلة التاريخية على هذا الاعتقاد، ويرجح رأيه نظرا لوجود ظاهرتين ثقافيتين كان لهما الأثر الجلي في الثقافة الجزائرية:

1- ابتكر أهل الأندلس الزجل كشكل شعبي للموشح،« وقد اشترطوا في نظمه أن يكون بلهجة عامية، خالية من قواعد الإعراب، وهو ما سهل على الشاعر الشعبي تقليد الزجل والنظم على منواله»[13]. ولا يزال تأثير الزجل مستشريا ومنتشرا في الثقافة الجزائرية، خاصة الثقافة الغنائية، حيث لازالت الفرق الموسيقية الأندلسية منتشرة في ربوع الجزائر، خاصة وأن الأغنية الموسيقية كثيرا ما خدمت الشعر الشعبي خدمات جليلة، أتاحت انتشار هذا الشعر وحافظت عليه من الضياع.

2- لقد كان من بين مهاجري الأندلس علماء وأدباء كان لهم دور هام في نقل الثقافة والأدب من الأندلس إلى شمال إفريقيا، كما أنهم لم يدخلوا البلاد محاربين أو تحت تأثير ظروف سياسية، مثلما هو الحال بالنسبة للهلاليين الذين دخلوا البلاد تنفيذا لخطة سياسية، وعليه فإن تأثير مهاجري الأندلس في الحياة الثقافية والأدبية لم يقم على الإكراه والقهر والحروب كما فعل بنو هلال، لهذا فقد بقي تأثير مهاجري الأندلس إلى يومنا هذا، بينما أفل أثر الهلاليين.

---

[13]-التلي بن الشيخ ، المرجع السابق، ص26.